صاحب جريدة الاصلاح بفكرة « ... ان المهاجرة من اسباب عمران بلاد نسعى الى تعميرها بكل قوانا .. » ، ولكنها اخذت تهدد البلاد بخطرين سياسي واقتصادي . الخطر الاول أساسه امور ثلاثة : احتفاظ اليهود بتقاليدهم الخاصة ، ترديدهم ذكرى ماضيهم وطموحهم الى تجديده ، تجنس السواد الاعظم منهم بالجنسية الاجنبية . مصدر الخطر الاقتصادي برأيه ليس عدد الصهيونيين في بلاد عنصرها العربي يربو اضعافا على عددهم ، بل هو ضعف الفلاح ازاء الصهيونيين عن مزاحمتهم ماديا وفنيا . ولا يزال هذا الحاجز الا بازالة الخطر السياسي على الوحدة العثمانية والخطر الاقتصادي على الفلاح « .. فمتى تلوفي هذان المحذوران زال سوء التفاهم » .

ومن جماعة اللامركزية في القاهرة ، الذين خرجت من اوساطهم بذور فكرة التقارب لم يأت رد صريح ، انما جاء تلميحا في المنار(٣٧) « ... ان اليهود يريدون ان يعيدوا ملكهم لهذه البلاد ... ولكن دون ذلك اهوال ... ولا تغني عنهم الوسائل الرسمية والمكايدة ، وانما الذي يغني هو الاتفاق مع العرب على العمران .. » . وعاد رشيد رضا بعد أشهر ليفصل هذا الرأي(٣٨)، ويتوجه الى الذين اثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب « بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها ... » . ولذلك على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين : « اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ، ان امكن ، وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه باسبابه . واما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، واولها تأليف الجمعيات والشركات ، واخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو الكلي — والكلي اخر العلاج كما يقال ... » . يبدو ان جماعة اللامركزية قد بدأت تفقد ثقتها بوعود الاتراك في الاصلاح ، بل بدأت تتوقع صراعا وشيكا بين الترك والعرب . وربما سعي هذه الجماعة للتغلب على عقبة قد تقف في صراعها المقبل مع الترك هو الذي حملها على التمسك بفكرتها الاولى حول امكانية التقارب .

وكي يدفع الصهيونيون فكرة التقارب الى الامام ، قام ناحوم سوكولوف عضو اللجنة التنفيذية العليا الصهيونية في برلين في ابريل ١٩١٤ بزيارة الى فلسطين وسوريا استغرقت ثلاثة أشهر وقام مراسل المقطم في يافا (نسيم ملول) باجراء مقابلة صحفية معه كانت غايتها ان يجدد الزعيم الصهيوني العرض السابق حول فكرة التفاهم مع كل ما يغلفها من مغريات . خلاصة المقابلة : الاسرائيليون النازحون الى فلسطين انما هم يعودون بعد طول اغتراب الى وطنهم القديم ، حاملين كثيرا من وسائل التمدن والعمران كي يعيدوا له مجده الماضي . وخاصة ان العرب واليهود شعبان شقيقان متفقان منذ فجر التاريخ . اما الطرق التي يرغب الصهيونيون استعمالها للتفاهم فيحددها في الامور التالية : « تعلم اللغة العربية في المدارس الاسرائيلية والعناية بالاداب العربية والتمدن العربي ، تعيين اطباء يجولون لمداواة العيون المصابة بمرض التراخوما ، فتح تكايا وملاجيء عمومية للفقراء والغرباء على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم ، وانشاء فروع لبنك انجلو فلسطين لتسليف النقود للاهلين الى آجال طويلة بفوائد زهيدة » .

الرد على هذا العرض الجديد جاء بعد ايام في المقطم(٣٩)، ويتفق صاحب الرد ، رفيق العظم رئيس اللامركزية ، مع سوكولوف على المقدمات التي ذكرها . ولكن اليهود النازحين لا يقدمون دليلا على سعيهم الى الاتحاد مع اخوانهم العرب ، بل انهم في عزلة تامة . والوطنيون شعب حديث عهد بالنهضة الجديدة واليهود المهاجرون شعب نشأ في بلاد المدنية الحديثة فلا تيسير للوطنيين ان يباروا المزاحم الجديد . ومع ان رفيق العظم